المجلد السابع والعشرون للعام ٢٠٢٣م
حولية كلية اللغة العربية للبنين بجرجا

التماسك النصي
في نونية أبي البقاء الرندي

Textual cohesion
in Nunya Abi Al-Baqaa Al-Randi

بقلم الدكتور

فيصل زيدان مزيد السلمي

قسم المواد العامة ، كلية الآداب والعلوم الانسانية،
جامعة الملك عبدالعزيز بجدة، المملكة العربية السعودية

العدد الثاني (إصدار ديسمبر ٢٠٢٣م)

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/٢٠٢٣م

بسم الله الرحمن الرحيم

التماسك النصي في نونية أبي البقاء الرندي

فيصل زيدان مزيد السلمي.

قسم المواد العامة ، كلية الآداب والعلوم الانسانية، جامعة الملك عبدالعزيز بجدة، المملكة العربية السعودية .

البريد الإلكتروني : feasal.2025@yahoo.com

الملخص

يتناول هذا البحث التماسك النصي في واحدةٍ من أبلغ وأشهر قصائد رثاء المدن نونية أبي البقاء الرندي في رثاء ما ضاع من أرض الأندلس، وقد اتخذ البحث من المنهج النصِّي منهجًا له، واشتمل على تمهيدٍ تنظيريٍّ لتعريف النص والتماسك النصي لغةً واصطلاحًا، قديمًا وحديثًا وأنواعِ التماسك النصِّي وهدفه. وجاء المبحث الأول ليبحث التماسكَ النصيَّ الشكليَّ، على مستوى الصوتِ في الوزنِ والقافيةِ والجناسِ، والمستوى النحوي في العطفِ، والإحالة والحذف. والمبحث الثاني تناول التماسك الدلاليَّ والتداوليَّ، في مستوى المعجم، التكرار، والتضام، والاستبدال، والسياق الداخلي المتمثّل في التماسك الموضوعيِّ والفكريِّ، والسياق الخارجيِّ المتمثّل في الظروف الخارجية للقصيدة، والبعد التداوليّ المتمثل في الفعل الإنجازي داخل القصيدة.

وقد دفعني لهذا البحث عدة أمور: منها موضوع رثاء المدن من الموضوعات التي تتمتع بعاطفة قوية وصادقة ، وتتمتع نونية الرندي بشهرة وجودة جعلتها من أشهر القصائد في هذا الغرض ، و تطبيق منهج النصية والبحث عن التماسك النصي سيساعد في إعادة قراءة القصيدة قراءة أدبية واعية.

وجاءت الخاتمة مبينةً أهمَّ عناصر التماسك من خلال النص، وليس من خلال قواعدَ يتمُّ إسقاطُها على النص.

الكلمات المفتاحية: التماسك، النص، الرندي، رثاء.

Textual cohesion in Nunya Abi Al-Baqaa Al-Randi

Faisal Zaidan Mazyad Al-Sulami
Department of General Subjects, College of Arts and Humanities, King Abdulaziz University in Jeddah, Kingdom of Saudi Arabia.
Email: feasal.2025@yahoo.com

Abstract

This research deals with textual cohesion in one of the most eloquent and famous poems lamenting cities, Nunia Abu al-Baqa al-Randi in lamenting what was lost from the land of Andalusia. The research took the textual approach as its approach and included a theoretical introduction to defining text and textual cohesion linguistically and idiomatically, valuable and modern, and types of cohesion. The text and its purpose. The first section examined formal textual cohesion, at the level of sound in meter, rhyme, and alliteration, and the grammatical level in conjunction, reference, and deletion. The second section dealt with semantic and pragmatic cohesion, at the lexical level, repetition, consolidation, and substitution, the internal context represented by thematic and intellectual cohesion, the external context represented by the external circumstances of the poem, and the pragmatic dimension represented by the accomplished action within the poem

Several things prompted me to do this research: Among them is the topic of lamenting cities, one of the topics that has a strong and sincere emotion, and Nunia al-Randi enjoys fame and quality that made it one of the most famous poems for this purpose. Applying the textual approach and searching for textual cohesion will help in re-reading the poem in a conscious literary reading.

The conclusion showed the most important elements of cohesion through the text, and not through rules that are projected onto the text.

Keywords: cohesion, text, randy, pathos.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمدُ لله والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله، وبعد:

النصوص الأدبية الإبداعية ثرّة العطاء بمعانيها وبنيتها، وقد تبلور مصطلح التماسك النصي؛ ليعبر عن ذلك الخيطِ الناظم لحبات العقد، "فالنص يتكون في مجمله من مجموعة من الأبنية تتماسك بفعل علاقات نحوية تركيبية وعلاقات دلالية، مجموع هذه العلاقات ونتاجها هو ما يعرف بالتماسك أو الترابط النصي"(١).

والتماسك النصي له خطان(٢)، الأول: خطُّ الشكل أو التركيب، ويشمل الإحالة، والحذف والاستبدال، ونحوه. والخطُّ الثاني هو الخط الدلاليّ والتداوليّ.

و"إذا خلا النص من هذه الأدوات سواءً أكانت شكليةً أم دلاليةً فإنه يصبح جُمَلًا متراصةً لا يربط بينها رابط، ويصبح النص – إذا عددناه حينئذ نصًّا – جسدًا بلا روح"(٣).

ومن النصوص الهامّة في فرادتها التأليفي، وسياقها العميق نونية أبي البقاء الرندي (٦٨٤هـ) في رثاء ما سقط من مدن الأندلس، والرّندي "واحد من

(١) التماسك النصي الاتساق شكليًّا والانسجام تداولًا، د. علي الطاهر ص ٢١، ط يسطرون للطباعة، الجيزة ٢٠١٩م.

(٢) قد يسمى الأول بالسطحي، والثاني بالعميق على ضوء البنية السطحية والعميقة عند تشومسكي، ينظر علم لغة النص، د. سعيد بحيري ص ١٢٣، ط لبنان ناشرون ١٩٩٧م.

(٣) علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، د. صبحي الفقي ٩٣/١، ط دار قباء، القاهرة، ٢٠٠٠م.

أدباء القرن السابع، وشهد تهاوي المجد الأندلسي منذ بدايات هذا القرن، وتأثَّر كما تأثر معاصروه من الأدباء والشعراء"(١).

فاخترت أن يكون موضوعًا للبحث بعنوان **(التماسك النصي في نونية أبي البقاء الرندي)**.

دوافع البحث: ودفعني لهذا البحث عدة أمور:

- موضوع رثاء المدن من الموضوعات التي تتمتع بعاطفة قوية وصادقة.
- تتمتع نونية الرندي بشهرة وجودة جعلتها من أشهر القصائد في هذا الغرض.
- تطبيق منهج النصية والبحث عن التماسك النصي سيساعد في إعادة قراءة القصيدة قراءة أدبية واعية.

هدف البحث: يسعى البحث إلى تبيان عناصر التماسك النصي في نونية الرندي ودورها في تحليل القصيدة.

أسئلة البحث:

ما التماسك النصي؟ وكيف يتماسك النص الشعري؟

ما المستويات التي ساعدت على تماسك النص الشعري في قصيدة الرثاء لأبي البقاء الرندي؟

ما النتائج المترتبة على وجود آليات التماسك في القصيدة؟

منهج البحث: المنهج النصي، "تعتَبِرُ النظرية (النصيَّة) العمل الأدبي أولًا وقبل كل شيء نظامًا أو منظومة الدلالات، وهي ترتبط ارتباطًا وثيقًا

(١) أبو البقاء الرندي شاعر الأندلس، د. محمد رضوان الداية ص ٨٩، ط مكتبة سعد الدين، بيروت ١٩٨٦م.

بالنظريات الأدبية القريبة منها ... فالنظرية النصية تحتِّم على الناقد أن يضعَ في اعتباره دائمًا أن العملَ الأدبي أو أيَّ جزء منه نص قبل أيِّ اعتبارٍ آخر، أي نسيج من التشكيلات ... ولذلك فإنَّ علم اللغة أو اللغويات يشتمل على أدوات ومناهج عديدة مثل السيميوطيقا وعلم الدلالة والنحو والبراجماتية وغيرها ... وكان الهدف الاستراتيجي للنظرية النصية هو وضع هذه الآفاق والأدوات والمناهج في خدمة النص حتى يُمْكِنَ للناقد أن يصلَ إلى أعمق أغواره"(١).

خطة البحث: يشتملُ البحث على **تمهيد يشمل تعريفًا تنظيريًّا بالتماسك النصي، ونوعَيه السطحيّ والعميق.**

المبحث الأول: التماسك النصي الشكلي، ويشمل التركيب النحوي (الإحالة، الحذف، الاستبدال إلخ).

المبحث الثاني: التماسك النصي الدلالي والتداولي. ويشمل التماسك الموضوعي والدلالي والتداولي في القصيدة، ومنها السياق والإحالة الخارجية(٢).

الدراسات سابقة:

هناك بعض الدراسات السابقة للبحث، منها ما يتعلَّق بالتماسك النصي ومنها:

- التماسك النصي بين التراث والغرب، تارا شاكر، مجلة جامعة بابل ٢٠١٤م.

---

(١) موسوعة النظريات الأدبية، د. نبيل راغب ص ٦٦٨ بتصرف، ط الشركة المصرية العالمية للنشر، الجيزة ٢٠٠٣م.

(٢) ينظر في أدوات التماسك النصي علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ١/١٢٠.

- التماسك النصي دراسة تطبيقية في نهج البلاغة، عيسى جواد فضل محمد الوداعي، دكتوراه الجامعة الأردنية، ٢٠٠٥م.
- التماسك النصي على المستوى النحوي في سورة المزمل، د. إبراهيم محمد عبد الله، مجلة روافد المعرفة السنة الأولى العدد الثاني ٢٠١٣م.

ومنها ما يتعلَّقُ بنونية أبي البقاء الرندي، نحو:

١-"أبو البقاء الرندي حياته وشعره" م.د زياد طارق لفتة، كلية التربية الأساسية، جامعة ديالي مجلة كلية التربية للبنات ع ٧، ٢٠١٧م.

والبحث جاء في تمهيد تضمن نبذة من حياة الشاعر، ومبحثين الأول عن الأغراض الشعرية التي وظفها الشاعر في شعره، والثاني عن الدراسة الفنية لشعره في اللغة والموسيقى والصورة الفنية. وقد ذكر الباحث نونية الرندي في غرض الرثاء مبينا غرضها ومستشهدا بأول خمسة أبيات منها. وبيتين في اللغة الشعرية، وآخرَين في الصورة الشعرية، وذكر بعض أبياتها في الموسيقى والقافية للاستدلال على استعمال قافية النون وبحر البسيط.

٢-"الحكمة في شعر أبي البقاء الرندي، البنية والدلالة" نوف بني محمد علي يماني، ماجستير في البلاغة والنقد بجامعة أم القرى، ١٤٣٦/ ١٤٣٧هـ. واحتوت الرسالة على تمهيد فيه حديث عامٌّ عن الحكمة في الشعر العربي القديم، وشعرائها، وجاء الفصل الأول في الحكمة والشعر في النقد الأدبي، وموقع الحكمة في الشعر الأندلسي، والفصل الثاني عن التناص في شعر أبي البقاء الرندي وأهم العناصر المؤثرة فيه، والفصل الأخير أبرز أهم الدلالات والمعاني والصور البلاغية.

٣-"الخصائص الأسلوبية في نونية أبي البقاء الرندي" بو علام رزيق، جامعة المسيلة ماجستير،٢٠١١/٢٠١٢م. واحتوت الرسالة شقا نظريا تحدث

فيه الباحث عن المنهج الأسلوبي، وأبي البقاء الرندي ونونيته، وشق تطبيقي تناول فيه النونية من جهة الإيقاع، والتركيب والصورة، والباحث لم يتطرق لفكرة التماسك النصي، واعتمد التحليل الأسلوبي.

٤-"سيمياء التناص في نونية أبي البقاء الرندي" هيام عبد الكريم المعمريّ، مجلة الدراسات اللغوية والأدبية، ع ٢، السنة ١١، ٢٠١٩م. والدراسة عرفت بالشاعر والتناص والسيميائية كمداخل تنظيرية، وهي تبحث الثنائيات اللغوية في النص، وكيفية توظيف اللغة الشعرية، وإمكانية تطبيق مربع غريماس في النص، مع تناول عتبات النص.

وليس في الدراسات هذه ما يتقاطع مع موضع بحثي هذا.

٥-"أدوات الاتساق في مرثية الأندلس لأبي البقاء الرندي" مذكرة التخرج لنيل شهادة الماستر، إعداد، حبيبة زناسني، صورية رماني، معهد الآداب واللغات، المركز الجامعي عين تموشنت الجزائر، ٢٠١٨/٢٠١٩م.

ويختلف بحثي عن هذه الدراسة في:

لم أقم بكتابة بحثي بعد الاطلاع على هذه الدراسة؛ ولذا يتمتع بحثي باستقلال فكري تام.

اعتمد الباحثتين على المنهج التحليلي الوصفي، واعتمد على المنهج النصي وهو أنسب لطبيعة الموضوع.

يقع الجانب المتخصص لتلك الدراسة في سبعة عشر صفحة بغير الفهارس، وأرى أن الجانب التنظيري في بحثي أعمق وأضبط وأكثر شمولا، فعلى سبيل المثال قدمت آراء عديدة في عناصر التماسك النصي، وكذلك جوانب عديدة لتعريف النص والتماسك النصي.

أما الجانب التطبيقي عندي فهو أكثر تشعبا، فمثلا ينفرد بحثي بالحديث عن التماسك الموسيقي الصوتي المتمثل في البحر والقافية، وكذلك الفصل بين نوعي الإحالة، وفي التكرار اكتفت الدراسة بأنه اسمي وفعلي فقط، وذكرت في بحثي أن التكرار يكون باللفظ نفسه، وهو اسمي وفعلي، أو تكرار الألفاظ بمعانيها، ويكون اسمي، وبالصفات، ويقع بين الاسم والفعل فيأتي احدهما بمعنى الآخر. وفي العطف أو الوصل اكتفت الدراسة بذكر الواو والفاء وعدد ورودهما، في حين أنني ذكرت الوصل بين الجملتين، وبين أكثر من جملتين، وانفرد بحثي برصد الترابط بأداة الشرط، والترابط بوقوع جملة في نطاق أخرى كالجملة الحالية، والمجرورة. وفي الحذف انفرد بحثي بحذف جواب الشرط، وبعض مواضع الحذف في دراسة الباحثتين موضع جدل، فقد قالتا في: (وأين ما حازه قارون من ذهب؟ ... وأين عاد وشداد وقحطان؟) أن هنا حذف تقديره: ما حازه عاد إلخ. وهو غير مراد في رأيي، فقارون عرف بحيازة المال، أما عاد وما بعده المقصود السؤال عنهم هم، فهم قد هلكوا ومضوا، كما أنه ليس من مواضع حذف الفعل في النحو. وكذلك في (حتى قضوا فكأن القومَ ما كانوا) قالتا بأن خبر كانوا محذوف، ولكنني أرى أن ما كانوا بمعنى ما وجدوا، فكان تامة ولا حذف هنا. ومن مواضع الحذف العجيبة عندهما: (دار الزمان على دارا وقاتله ... وأمَّ كسرى فما آواه إيوان) فذكرتا الشطر الثاني وقالتا بحذف (على)، ولو أصابتا لذكرا الشطر الأول. ولم تذكرا شيئا عن علة كون الحذف من أدوات الاتساق، وقد ذكرتُ ذلك.

وانفرد بحثي بذكر "التضام" وهو من أدوات الاتساق، والتماسك الموضوعي، والسياق الداخلي، والسياق الخارجي، والتماسك التداولي، وكل ذلك ليس له ذكر في تلك الدراسة، وهذا فيما أظن ما يجعل بحثي جديرا بالدراسة.

٦-"آليات الاتساق والانسجام في مرثية الأندلس لأبي البقاء الرندي" مذكرة لنيل شهادة الماستر إعداد: مريم شبابحة، ونسرين بن لطرش، جامعة

محمد بو ضياف، المسيلة، الجزائر، ٢٠٢١/٢٠٢٢م. وهذه الدراسة كسابقتها إلى حد كبير في التناول.

٧-"الاتساق في مرثية الأندلس لأبي البقاء الرندي" ماجستير، محمد زميط، جامعة الجزائر، كلية الاداب واللغات ٢٠١٤ – ٢٠١٥م.

والدراسة بلغت (١٩٥) صفحة، منها (١١١) دراسة نظرية، أما الدراسة التطبيقية على القصيدة فبلغت (٥٩) صفحة، وشملت: الإحالة، والحذف، والاستبدال، والترابط، والاتساق المعجمي. وخلت من الحديث عن الاتساق الصوتي في الوزن والقافية، وكذلك الربط الشرطي، والربط بدخول جملة ضمن جملة أخرى.

وأرى أن لديه في باب الحذف تخليط واضح من أمثلته أنه يقول في: (حتى المحاريب تبكي وهي جامدة) أن فيه حذف، وقدره: صارت تبكي، ولا مبرر لذلك. وفي (فكأن القوم ما كانوا) يقدر خبرا تقديره، موجودين، ولو قال: إن كان تامة لكانت بمعنى: ما وجدوا. وأغرب من ذلك، يقول في: (دهى الجزيرة أمر لا عزاء له) أن هنا صفة مقدرة تقديرها: أمر عظيم، ولا داعي له، فـ لا عزاء له، أقوى في دلالة عظمة الخطب من تقدير صفة، ثم إن الجملة نعت لأمر، فلم نقدر صفة أخرى لا دلالة عليها؟ ويقدر أن الفعل محذوفا مع أسلوب النداء، ويعده من الحذف، بل يعد المعطوف على المنادى محذوفٌ من حرف النداء، وهذا غريب، لأن العامل في المعطوف هو العامل في المعطوف عليه، ولا يصح تقدير عامل آخر إلا في البدل؛ لأنه على نية تكرار العامل.

***

تمهيد:

تعريف النص: لغةً واصطلاحاً قديماً وحديثاً.

النص لغةً:

جاء النص من المادة اللغوية (ن ص ص) وجاءت في لسان العرب بعدة معان:

النصُّ: رفعُكَ الشيءَ، نصَّ الحديثَ رفعه.

وكلُّ ما أُظْهِرَ فقد نُصَّ. ووضِعَ على المِنَصَّةِ أي: على غاية الفضيحة والشهرة والظهور.

ونصَّ المتاعَ نصًّا جعل بعضه على بعض.

والنصُّ: التحريكُ حتى تستخرج من الناقة أقصى سيرها. والنصُّ والنصِيصُ: السير الشديد.

ونصَّ الرجلَ نصًّا إذا سأله عن الشيء حتى يستقصيَ ما عنده. ونصُّ كل شيء منتهاه.

ونصَصْتُ الشيء حركتُه. وانتصَّ الشيءُ إذا استوى واستقام(١).

هذه معاني النص في اللغة العربية، أما في اللغات الأوروبية فإن لفظ (نص) في الانجليزية (Text) وفي الفرنسية (Texte) وهو مأخوذ من الكلمة اللاتينية (Textus) بمعنى النسْج أو الأسياخ المضفَّرة، وفعلها اللاتيني (Textere) بمعنى: جَدَلَ أو نَسَجَ(٢).

---

(١) ينظر لسان العرب ٩٧/٧، ط دار صادر، بيروت.

(٢) ينظر تحليل النص، د. محمود عكاشة، ص ٩، مكتبة الرشد ناشرون، ٢٠١٤م. وقد ذكر في الهامش كل المعاني التي ترد لكلمة (نص) في المعجم الغربي.

النص اصطلاحاً:

النص له تعريفات متنوعة، فيرى هارتمان أنه "أيُّ قطعة ما ذات دلالة وذات وظيفة، وبالتالي هي قطعة مثمرة من الكلام"(١). وذهب برينكر إلى أنه "تتابع مترابط من الجمل، ويستنتج من ذلك أن الجملة بوصفها جزءا صغيرا ترمز إلى النص"(٢). وقيل: "القول اللغوي المكتفي بذاته والمكتمل في دلالته"(٣). وذهبت ((جوليا كريستيفا)) أن النص: "جهاز عبر لغوي يعيد توزيع نظام اللغة بكشف العلاقة بين الكلمات التواصلية مشيرًا إلى بيانات مباشرة تربطها بأنماط مختلفة من الأقوال السابقة والمتزامنة معها"(٤).

وإن كان ما سبق هو النص من وجهة نظر علم اللغة النصي، النص بما هو نص، فإن النص الأدبي له منظور آخر، فهو كما قال د. محمد التونجي: "هو كتابةٌ شخصية عن أمور جرتْ مع الكاتب أو الشاعر، وكثيرًا ما يكون صادقًا في تصوير ما اعتراه، وقد يكون كاذبًا. وهو يستعين بالصور وإبراز العاطفة، والنص الأدبي يختلف عن النص العلمي في أن الأدبيَّ تجربةٌ شخصية انفعالية فيها كثير من التشبيه والاستعارة يقدِّمها بأسلوب منمَّق فيه موسيقى وعناية أو وزن وقافية، وهو يعتمد على عناصر أربعة: عنصر العاطفة، وعنصر الخيال، وعنصر الفكرة، وعنصر الصورة"(٥).

---

(١) علم لغة النص، ص ١٠١.

(٢) السابق ص ١٠٣.

(٣) بلاغة الخطاب وعلم النص، د. صلاح فضل، ص ٢١٤ ط عالم المعرفة عدد ١٦٤، ١٩٩٢م.

(٤) السابق ص ٢١١.

(٥) المعجم المفصل في الأدب، د. محمد التونجي ٨٦٠/٢، دار الكتب العلمية بيروت، ١٩٩٩م.

وذهب السيميولوجي الروسي لوتمان أن النص يعتمد على المكونات التالية:

١-التعبير: فالنص يتمثل في علاقات محددة تختلف عن الأبنية القائمة خارج النص، فإذا كان النص أدبيًّا فإن التعبير يتم فيه أولًا من خلال علامات اللغة الطبيعية.

٢-التحديد: فالتحديد لازمٌ للنص، وهو بهذا المعنى يقوم في مقابل جميع العلامات المتجسدة ماديًّا والتي لا تدخل في تكوينه طبقًا لمبدأ التضمن وعدم التضمن.

٣-الخاصَّة البنيوية: فالنص ليس مجردَ متواليةٍ من مجموعة علامات، فالتنظيم الداخلي يحيله إلى مستوى متراكب أفقيًّا في كلٍّ بنيويٍّ موحد لازم للنص.

ويستخلص من هذا أن النص يطلق على التكوين الفني المحدَّد المبَنْيَن(١).

وهذه الملاحظات الأخيرة تقتضي أن النصَّ له حدودٌ وبناء يرتكز عليها، وليس رصفًا للجمل أو التعبيرات فقط، وهذا اقتضى النظر فيما يشكِّلُ تماسكًا يحفظ للنص نصيته.

وقد رصد د. صبحي الفقي المفاهيم التي يدل عليها تعريف (النص) اصطلاحًا، وحصر زوايا رؤية هذا المصطلح في المفاهيم التالية:

- كون النص منطوقًا أو مكتوبًا أو كليهما.
- مراعاة الجانب الدلالي.
- مراعاة التحديد الحجمي أي: طول النص.

---

(١) ينظر بلاغة الخطاب وعلم النص، ص ٢١٥ بتصرف.

- مراعاة الجانب التداولي.
- مراعاة جانب السياق.
- مراعاة جانب التماسك، وهو أهمُّ المعايير التي يقوم عليها التحليل النصي.
- مراعاة التواصل بين المنتج والمتلقي.
- الربط بينه وبين مفاهيم تحويلية، مثل الكفاءة والأداء، وغيرهما.
- إبراز كونه مقيّدًا(١).

تعريف التماسك النصي: قديماً وحديثاً:

التماسك النصي قديمًا: "لم يعرف التماسك عند المتقدمين العرب بالهيئة أو التسمية التي يعرف بها اليوم، فقد كان يندرج تحت مواضيع مختلفة نجدها في مواطن متعددة "(٢).

ومن ذلك، حديث ابن رشيق عن الوحشيِّ من الكلام والمتكلف، والركيك، وتلك ملامح شكلية.

ومن ملامح التماسك الدلالي والتداولي، اعتناء تقي الدين الحموي بتوخِّي حسن النَّسَق، والتلاحم المستحسَن، وتناسُق الجمل والمفردات متواليةً. وكذلك ما ذكره القلقشندي من تناسب الألفاظ والمعاني في تأليف الكلام، وحسن النسق؛ ليكونَ الكلام بعضه آخذًا بأعناق بعض. وكذلك ما قاله الجرجاني عن النظم، فنظم الكلام اقتفاء آثار المعاني حسب ترتبها في النفس، وذلك تماسكًا دلاليًّا واضحًا، فحضور التماسك اللفظي شكلًا والدلالي معنى واضح في التراث العربي(٣).

---

(١) علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ٢٩/١.

(٢) التماسك النصي الاتساق شكليًّا والانسجام تداوليًّا، ص ٩.

(٣) ينظر التماسك النصي الاتساق شكليًّا والانسجام تداوليًّا، ص ٩-١٣ بتصرف.

التماسك النصي حديثاً:

ترجم المصطلح الإنجليزي (Cohesion) إلى عدد من المقابلات العربية وهي (الاتساق، والسبك، والتضام، والترابط، الالتئام، والحبك، والتماسك، والانسجام، والتقارن) (١).

الفرق بين: (Cohesion) و(Coherence): يفرق بعض الدارسين بين المصطلحين في حين يرى آخرون أنهما يستعملان بمعنى واحد، فـ "مصطلح (Coherence) يعني: ((العلاقات التي تربط معاني الأقوال في الخطاب، أو معاني الجمل في النص. هذه الروابط تعتمد على معرفة المتحدثين –[السياق المحيط بهم]– على سبيل المثال:

A: Could you give me a lift home? هل يمكنك توصيلي للمنزل؟

B: Sorry, I'm visitin, my sister. معذرة سأزور أختي.

فلا توجد روابط نحوية أو معجمية – [أي: شكلية] – بين السؤال والإجابة لكن حدث التماسك؛ لأن كلا من (A) و (B) يعرف أن أخت (B) تعيش في الاتجاه المقابل لمنزل (A) ... ومن ثم فمصطلح (Coherence) أو الحبك كما ترجمه د. سعد مصلوح يعني: ((الاستمرارية الدلالية، التي تتجلى في منظومة المفاهيم والعلاقات الرابطة بين هذه المفاهيم))(٢).

---

(١) ينظر مفهوم التماسك وأهميته في الدراسات النصية، جمعان عبد الكريم ص ٢٠٩، مجلة علامات في النقد، ٢٠٠٧م.

(٢) ينظر، نحو أجرومية للنص الشعري، د. سعد مصلوح ص ١٥٤، فصول مج ١٠، ع ١٢، ١٩٩١م.

على حين يجعلها كريستال: ((الاتصالات المنطقية المقدرة للاستعمال اللغوي))"[١].

""ويجعل هاليدى ورقية حسن (Cohesion) متضمناً علاقات المعنى العام لكل طبقات النص، والتي تميز النصي من اللانصي، ويكون علاقة متبادلة مع المعاني الحقيقية المستقلة للنص مع الآخر، فالتماسك (Cohesion) إذن لا يركز على ماذا يعني النصي بقدر ما يركز على كيفية تركيب النص باعتباره صرحًا دلاليًّا. ... ويخصصه د. سعد مصلوح بعد ترجمته بمصطلح السبك، بالوسائل التي تتحقق بها خاصية الاستمرارية في ظاهر النص"[٢].

ورأيي أن د. صبحي الفقي قدم تعريفًا شاملًا للتماسك النصي، "فالتماسك بهذا المعنى يعني العلاقات أو الأدوات الشكلية والدلالية التي تسهم في الربط بين عناصر النص الداخلية وبين النص والبيئة المحيطة من ناحية، ومن بين هذه الأدوات المرجعية" [٣].

هدف التماسك النصي: ويرى العلماء أن تماسك النص هو أهم مظهر للنص، وهو الرابط الذي يربط النص في وحدةٍ مستقلةٍ متكاملةٍ من بدايته إلى نهايته، هدف التماسك النصي: "نرى ملخص إجابة هذا السؤال أنَّ التماسك يربط بين أجزاء الجملة وأجزاء النص، وهذا الربط دلاليٌّ شكليٌّ. وهناك من يرى أن التماسك ((لا يركز على ماذا يعني النص؟ لكنه يركز على كيفية تركيب النص كصرح دلالي))" [٤].

---

(١) علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ٩٤/١.

(٢) السابق ٩٥/١.

(٣) السابق ٩٦/١.

(٤) علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ٩٨/١.

أنواع التماسك النصي:

يرى كثير من الباحثين أن التماسك النصي ينقسم قسمين:

شكلي أو سطحي: ويتكون هذا المستوى من الوحدات النحوية(١).

دلالي أو عميق: ويتكون هذا المستوى من علاقات التماسك الدلالية المنطقية(٢).

وسائل التماسك النصي: يرى الدكتور د. سعد مصلوح أن مصطلح (الاعتماد النحوي) يُجْمِلُ وسائل التماسك في النص، يقول: "ويجمع هذه الوسائل مصطلح عام هو: الاعتماد النحوي (grammatical dependncy)، ويتحقق الاعتماد في شبكة هرمية ومتداخلة من الأنواع، هي:

(١) الاعتماد في الجملة intar-sentential

(٢) الاعتماد فيما بين الجمل inter-sentential

(٣) الاعتماد في الفقرة أو المقطوعة.

(٤) الاعتماد فيما بين الفقرات أو المقطوعات.

(٥) الاعتماد في جملة النص" (٣).

وقد حصرها د. خالد العدواني في: التكرار، والتضام، والإحالة، والحذف، والربط(٤).

---

(١) ينظر علم لغة النص ص ١١٩.

(٢) ينظر السابق الصفحة ذاتها. وينظر مفهوم التماسك وأهميته في الدراسات النقدية ص ٢١٠.

(٣) نحو أجرومية للنص الشعري، د. سعد مصلوح ص ١٥٤.

(٤) ينظر دراسات الجملة العربية ولسانيات النص، د. خالد حسن العدواني ص ١١٠، أنقرة ٢٠٢٠م. وينظر لسانيات النص محمد خطابي، ص ١٦، المركز الثقافي العربي بيروت، ١٩٩١م.

وذهب د. صبحي الفقي إلى أن أبواب النحو التي تعتمد على علاقة الإسناد يمكن أن تعد كلها مندرجة تحت مبدأ التماسك النصي، وأن أقوال العلماء مختلفة في تحديد الأدوات التي تحقق التماسك النصي، وقسم أدوات التماسك إلى خارجية تشمل السياق والإحالة الخارجية، وداخلية، شكلية ودلالية ومشتركة(١).

والذي أراه أنَّ حصر هذه الأدوات كلها مما يفيد البنية النظرية لعلم اللغة النصي، والتحليل التطبيقي للنصوص الفنية، على أن نراعي أمرين:

الأول: أن لكل نص خصوصيته، وأن من الأدوات ما هو ذائع شائع قد يصعب أن يخلو منه نص، كالإحالة بالضمير والإشارة ونحوها.

الثاني: أن يكون تحليلنا للنص بمصطلحاتنا العربية وفهمنا لطبيعة وخصوصية لغتنا، وأن نفيد من النظريات العامة والعالمية طريقة البحث لا حرفية أدواته.

وعلى أساس هذه الرؤية أتناول نونية أبي البقاء الرندي.

***

(١) ينظر علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ١/١١٥-١٢٠.

في نونية الرندي[١] سأحاول رصد كل مظاهر التماسك الشكلي اللغوي والدلالي.

والرندي هو: صالح بن يزيد بن صالح بن موسى بن علي بن شريف النَّفْزِيّ من أهل رُنْدَة، وكنيته أبو الطيب، وأبو القاء. كان أديبا فقيها مشاركا في معظم جوانب الثقافة الأدبية والدينية لعصره، على تـديُّنٍ وخُلُـق، ولِـدَ (٦٠١هـ) وتوفِّي (٦٨٤هـ)[٢].

وهذه القصيدة:

قال أبو البقاء الرندي يستنجد ببني مَرِين وقبائل المرغـوب بخاصـة، وسامعي النداء من المسلمين وراء بحر الزقاق بعامة، ويدعو إلـى الجهـاد، ويرثي ما ضاع من بلاد الأندلس:

١) **لِكُلِّ شيءٍ إذا ما تمَّ نُقْصَـانُ فلا يُغَرُّ بِطِيـبِ العيشِ إنسانُ**

٢) **هِيَ الأمورُ كما شاهدْتَهـا دُوَلٌ مَنْ سَرَّهُ زَمَنٌ سـاءَتْهُ أزمانُ**

٣) **وهذه الدَّارُ لا تُبْقِي علـى أحدٍ ولا يَدُومُ على حـالٍ لها شانُ**

٤) **يُمَزِّقُ الدَّهْرُ حَتْماً كُلَّ سـابِغَةٍ إذا نَبَتْ مَشْـرَفِيَّاتٌ وخُـرْصَانُ**

٥) **وَيَنْتَضِي كُلُّ سيفٍ للفناءِ ولـو كان ابنَ ذِي يَزَن وَالغمدُ غِمْـدَانُ**

٦) **أينَ الملوكُ ذَوُو التِّيجَانِ مِنْ يَمَنٍ؟ وأينَ منهـم أكاليلٌ وتِيجـانُ؟**

٧) **وأينَ ما شَادَهُ شَـدَّادُ في إرَمٍ؟ وأينَ ما سَاسَهُ في الفُرْسِ سَاسانُ؟**

٨) **وأينَ ما حازَه قـارونُ مِـنْ ذهبٍ؟ وأينَ عـادٌ وَشَدَّادٌ وقَحْطَانُ؟**

---

(١) تنظر القصيدة في الذخيرة السنية ص ١٢٧، ونفح الطيب ٤٨٧/٤، وأبو البقاء الرندي شاعر رثاء الأندلس ص ١٤٣. والقصيدة ثلاثة وأربعون بيتًا كما ذكرها صـاحب الـذخيرة وأيـده المقَّري وكذلك د. محمد رضوان الداية. وفي ديوان الرندي تحقيق د. حياة قارة، بلغت ثلاثـا وستين بيتا، ووضعت الأبيات الزائدة بشكل مختلف لتتضح، ص ٢٣١.

(٢) ينظر أبو البقاء الرندي شاعر رثاء الأندلس ص ٣٥ فقد ترجم له ترجمة وافيه.

٩) أَتَى على الكلِّ أمـــرٌ لا مردَّ له ... حتَّى قَضَوْا فكأنَّ القومَ ما كـانُوا

١٠) وصار ما كان من مُلْكٍ ومِنْ مَلَكٍ ... كما حَكَى عن خَيَالِ الطَّيفِ وَسْنَانُ

١١) دارَ الزَّمانُ على دَارَا وقـــاتِلِه ... وأَمَّ كســـــرى فما آواه إيـــوانُ

١٢) كأنَّما الصَّعْبُ لم يَسْهُلْ له سببٌ ... يومـــــاً ولا مَلَكَ الدُّنْيَـــا سليمانُ

١٣) فجائعُ الدَّهرِ أنواعٌ منـــوَّعَةٌ ... وللزَّمَـــــانِ مَسَـــرَّاتٌ وأحزانُ

١٤) وللحوادثِ سُلْوَانٌ يُسَـــهِّلُهَا[1] ... وما لِمَـــا حَـــلَّ بـالإسلامِ سُلْوَانُ

١٥) دَهَى الجزيرةَ أمرٌ لا عـــــزاءَ له ... هَوَى له أُحُدٌ وَانْهَدَّ ثَهْـــلَانُ

١٦) أصابَها العينُ في الإسلامِ فَامْتُحِنَتْ[2] ... حتَّى خَلَتْ منهُ أقطارٌ وبُلْـدَانُ

١٧) فاسألْ بَلَنْسِيَةً ما شأنُ مُرْسِيَةٍ؟ ... وأينَ شاطبةٌ أَمْ أينَ جَيَّـــانُ؟

١٨) وأينَ قُرْطُبَةٌ دارُ العلومِ؟ فكـمْ ... مِنْ عالمٍ قد سَمَا فيها له شانُ

١٩) وأينَ حِمْصٌ وما تَحْوِيهِ مِنْ نُزَهٍ؟ ... ونهرُها العَذْبُ فَيَّاضٌ ومَـلآنُ

٢٠) وأينَ غَرناطةٌ دارُ الجهادِ؟ وكمْ ... أسْدٍ بها وهم في الحربِ عقبانُ

٢١) وأين حَمراؤُها العَليا وزخرُفها؟ ... كأنَّها من جِنَانِ الخُلْدِ عَدْنَانُ

٢٢) والماء يجري بساحاتِ القصورِ بها ... قد حَفَّ جدولَها زهرٌ وريحانُ

٢٣) وأينَ جامعُها المشهورُ؟ كم تُلِيَتْ ... في كلِّ وقتٍ به آيٌ وفـــرقانُ

٢٤) وعالمٍ كان فيه للجهول هـدى ... مدرَّسٍ له في العـــلم تبيانُ

٢٥) وعابدٍ خاشعٍ لله مبتهـــــلٍ ... والدمعُ منه على الخدَّيْنِ طوفانُ

٢٦) ووادِ شِنْجِيل يحكي في تحنُّشِهِ ... سيوفَ هِنْدٍ له في الجوِّ لمعـانُ

٢٧) وأين بَسْطَةُ دارُ الزعفران؟ فهل ... رأى شبيهًا لها في الحسنِ إنسانُ

٢٨) كذا المريَّةُ دارُ الصالحين فكـم ... قُطْبٍ بها عَلَمٍ غَوْثٍ له شـانُ

---

(١) روي: يهونها.

٢ روي: فارتزئت.

٢٩) وأين مالقةُ مَرْسَى المراكبِ كم أَرْسَتْ بساحلها فُلْكٌ وغِربانُ

٣٠) وكم بداخلها من شاعرٍ فَطِـــنٍ وذي فنونٍ له حِذْقٌ وتبيـــانُ

٣١) وكم بخارجها من مَنْزَهٍ فَـــرِجٍ وجَنَّةٍ حولها نَهْرٌ وبـــستانُ

٣٢) وأين جارتها الزَّهْرَا وقبَّتُها؟ وأين يا قومِ أبطالٌ وفرسانُ؟

٣٣) وكم شجاعٍ زعيمٍ في الوغى بطَلٍ بدا له في العدى فتكٌ وإمعانُ

٣٤) كم جَنْدَلَتْ يدُهُ من كافرٍ فغَدَا تبكيه من أرضِه أهلٌ وولدانُ

٣٥) ووادي آشِ غدتْ بالعزِّ عامرةً وردَّ توحيدَها شِركٌ وطغيانُ

٣٦) قَواعدٌ كُنَّ أركانَ البلادِ فمـــا عسَى البقاءُ إذا لم تَبْقَ أركانُ؟

٣٧) تبكِي الحَنِيفِيَّةُ البيضاءُ مِنْ أَسَفٍ كما بكَى لفراقِ الإلْفِ هَيْمَـــانُ

٣٨) على ديارٍ مِنَ الإسلامِ خَاليـــةٍ قد أَقْفَرَتْ[1] وَلَها بالكُفْرِ عُمْرَانُ

٣٩) حيثُ المساجدُ قد صارتْ كنائسَ ما فيهِنَّ إلَّا نواقيـــــسٌ وصُلْبَانُ

٤٠)حتَّى المحاريبُ تبكِي وَهي جامدةٌ حتَّى المنابِرُ ترثِي وهي عِيدَانُ

٤١)يَا غَافِلاً وله في الدهرِ موعظةٌ إنْ كُنتَ في سِنَةٍ فالدَّهرُ يَقْظَانُ

٤٢) ومَاشِيًا مَرِحًا يُلْهِيـــهِ مَوطِنُهُ أَبَعْدَ حِمْصٍ تَغُرُّ المرءُ أوطـــانُ؟

٤٣) تِلْكَ المصيبةُ أَنْسَتْ ما تَقَدَّمَهَا وما لها مع طُولِ الدَّهْرِ نِسْـيَانُ

٤٤) يا أَيُّها الملكُ البيضـــاءُ رايتُهُ أَدْرِكْ بِسيفِكَ أهلَ الكُفْرِ لا كانُوا

٤٥) يا راكبينَ عِتَاقَ الخيلِ ضامرةً كأَنَّها في مجالِ السَّبْقِ عُقْبَـــانُ

٤٦) وحاملينَ سُيُوفَ الهندِ مُرْهَفَةً كأَنَّها في ظلامِ النَّقْعِ نـــيرانُ

٤٧) وراتعينَ وراءَ البحرِ في دَعَـــةٍ لهُم بأوطانِهم عِـــزٌّ وسُلطانُ

٤٨) أَعندكمْ نبأٌ مِنْ أهـلِ أندلسٍ فقدْ سرَى بحديثِ القومِ رُكْبَانُ

٤٩) كمْ يستغيثُ بنُو المستضعفين وهُمْ فتتَلَى وأسرَى فما يهتزُّ إنســـانُ

---

١ روي: أُسْلِمَتْ.

٥٠) ماذا التقاطعُ في الإسـلامِ بينكُم ... وأنتمُ يا عبـــادَ اللهِ إخوانُ؟

٥١) أَلَا نفوسٌ أَبِيَّاتٌ لهـا هِمَـمٌ ... أَمَا على الخيرِ أنصارٌ وأعـوانُ

٥٢) يا مَنْ لِذِلَّةِ قومٍ بعـدَ عِزِّهِـمُ ... أحالَ حالَهم كُفْرٌ وطُغْيَـــانُ

٥٣) بالأَمْسِ كانُوا مُلُوكاً في منازِلِهم ... واليومَ همْ في بلادِ الكفرِ عُبْدَانُ

٥٤) فلو تراهمْ حَيَارَى لا دليلَ لهم ... عليهم من ثيابِ الـــذُّلِّ ألوانُ

٥٥) ولو رأيتَ بكاهُم عندَ بيعِهِـمُ ... لهالَكَ الأمرُ واستهوتْكَ أحـزانُ

٥٦) كم من أسيرٍ بحبلِ الذُّلِّ معتقلٌ ... كأَنَّه ميِّتٌ والـــذُّلُّ أكفـانُ

٥٧) يا رُبَّ أُمٍّ وطفلٍ حِيلَ بينهُمَا ... كمـــا تُفَرَّقُ أرواحٌ وأبدانُ

٥٨) وطفلةٍ مثلِ حُسْنِ الشَّمْسِ إذ طَلَعَت ... كأنَّما هـــي ياقوتٌ ومَرجَانُ

٥٩) يقودُها العِلْجُ للمكروهِ مكرهةً ... والعينُ باكيـــةٌ والقلبُ حيرانُ

٦٠) لمثلِ هذا يذوبُ القلبُ مِنْ كَمَدٍ ... إنْ كان في القلـبِ إسلامٌ وإيمانُ

٦١) هل للجهادِ بها من طالبٍ فَلَقَدْ ... تَزَخْرَفَتْ جنَّـــةُ المأوَى لها شانُ

٦٢) وأَشْرَفَ الحُورُ والوِلْدَانُ مِنْ غُرَفٍ ... فازتْ لَعَمْرِي بهذا الخيرِ شجْعَانُ

٦٣) ثمَّ الصلاةُ على المختارِ من مُضَرٍ ... ما هَبَّتْ ريحُ الصَّبَا واهتزَّ أغصانُ

*****

المبحث الأول: التماسك النصي الشكلي:

تتنوع وسائل التماسك الشكلي في النص، ويملك كلًّا من النص النثري والنص الشعري خصوصيات ليست للآخر، وفي قصيدة الرُّندي تأتي أهم عناصر التماسك على النحو التالي:

التماسك الصوتي: الوزن والقافية: خاصتان مميزتان للنص الشعري، والوزن يحقق انسجامًا صوتيًّا، وهذا العنصر الموسيقي المؤلف من حركات وسكنات متناسبة التقسيم والتوزيع مع نهايات آخر البيت متحدة الصوت (صوت النون مثلًا) من أهم خصائص الشعر العربي(١).

والقصيدة التي معنا تنتمي إلى بحر (البسيط)، وهو بحر ذو تفعيلتين (مستفعلن / فاعلن):

لِكُلِّ شيءٍ إذا ما تمَّ نُقْصَانُ	فلا يُغَرُّ بِطِيبِ العيشِ إنسانُ
//٠//٠ /٠//٠/ ٠//٠/٠/ ٠/٠/	//٠//٠ ///٠ /٠//٠/٠/ ٠/٠/
متفعلن فاعلن مستفعلن فَعْلن	متفعلن فعلن مستفعلن فَعْلن

والبيت الأول مصرَّعٌ، فمع أن عروض البسيط الكامل تأتي مخبونة على (فَعِلُن) إلا أنه من أجل التصريع(٢)، وهو جعل ضرب الشطر من البيت الأول في القصيدة على وزن عروضه سكنت العين (فَعْلُن)، وقافية القصيدة أو حرف رويها حرف النون، ولذا سميت نونية، أما الألف في (إنسان) وهي قبل النون فتسمى الردّف، وهو ألف أو واو أو ياء قبل حرف الروي الذي هو آخر حرف في البيت، وكلاهما حرفان لازمان في نهاية أبيات القصيدة(٣).

---

(١) ينظر البناء العروضي للقصيدة العربية، د. محمد حماسة، ص ١٦، ط دار الشروق ١٩٩٩م.

(٢) ينظر تيسير كافي التبريزي، د. حسني عبد الجليل، ص ٢٨ ط دار الآفاق العربي ١٩٩٨م.

(٣) ينظر السابق ص ١٠-١١.

فالتزام التتابع الصوتي في الحركات والسكنات في تفعيلات البيت، وتقسيمه شطرين والتزام حرفي الردف والروي والضمة وحرف الواو الذي يحدث بإشباع الضمة ويسمَّى وصلا كلها تؤدي دورًا في تماسك وانسجام النص صوتيًّا في إذن السامع وتلاوةً ونغمًا عند القارئ.

ولا يقف التماسك الصوتي عند الوزن والقافية فقط، بل يشمل أيضًا الجناس، وهو أن تشبه أحرف كلمة أحرف كلمة أخرى(١)، وورود الكلمات متنوعة المعاني متشابهة الألفاظ -فضلًا عن دوره البلاغي- فهو يؤدي إلى الترابط بين النص، فالأصوات المنسجمة روابط تشد من تكوين الجمل والنص، وقد ورد في قصيدة الرندي (١٠- مُلْك ومَلِك) فهو جناس تام، و(١١- دار ودارا) فدار الزمانُ فعل بمعنى تحول، وأما (دارا) فهو دارا الأصغر من ملوك الفرس قتله أصحابه في معركة مع الإسكندر. و(١٣- أنواع ومنوعة) و(١٨-العلوم وعالم) و(٥٢-أَحَال وحالَهم) و(٥٩-مكروهٌ ومُكْرَهَة)، جاءت هذه الكلمات متجانسة مترابطةَ الحروف والأصوات.

المستوى النحوي: هو المستوى الذي تتشكل فيه الجمل وتبدأ فيه الفائدة، والتماسك بين الجملة الواحدة والجمل المتنوعة أحد أهم عناصر التماسك في النص، وتقع الإحالة في مقدمة عناصر الجملة والجمل.

العطف: والعطف من أساليب الربط بين الكلمات والجمل، ويؤدي دورًا في تماسك النص، سواءً بين جملتين أم بين عدة جمل(٢)، ومن الأمثلة على العطف بين جملتين، قوله: (٤-يمزق ٥-وينتضي) فجملة (وينتضي) في بداية

(١) ينظر علم البديع، د. عبد العزيز عتيق، ص ١٩٦، ط دار النهضة العربية، بيروت.

(٢) ينظر علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ٢٤٧/١. وهو من أدوات التماسك عند القدماء والمحدثين ٢٥٧/١.

البيت الخامس معطوفة على جملة (يمزق) في بداية البيت الرابع. وعطف على الجملة الندائية (٤١- يا غافلًا) قوله: (٤٢- وماشيًا)، وعطف (٥٣- واليوم هم في بلاد الكفر عبدان) على جملة (بالأمس كانوا) فربط بين شطري البيت.

ومن أمثلة العطف بين عدة جملٍ متتالية: قول الشاعر: (٢-هي الأمور كما شاهدتها ٣-وهذه الدار)[١] فالجملة الأولى وردت في بداية البيت الثاني، ثم الثانية في بداية البيت الثالث، وجاءت جملة: (٣- ولا يدوم) معطوفة على (وهذه الدار). وتتوالى أربعة جمل في بيتين عطفت كل منها على الثانية بالواو، يقول: (١٣-فجائع الدهر، وللزمان مسراتٌ) (١٣-وللحوادث سلوان، وما لما حلَّ بالإسلام سلوان)، فربط بين البيتين بحرف المشاركة الواو. وعطف بالواو في الأبيات (١٧، ١٨، ١٩) ثلاثة أسئلة متتالية (وأين). وعطف جملتين على النداء في (٤٥- يا راكبين) وهما: (٤٦- وحاملين ٤٧- وراتعين) فربط بين ثلاثة أبيات متتالية.

وجاء الربط بالفاء أيضًا، والفاء تختص بأنها تعطف جملة لا تصلح أن تكون خبرًا أو صلة أو حالًا لخلوها من الضمير الرابط على جملة أخرى، وتفيد التعقيب، وقد يكون الترتيب في اللفظ وقد يكون في المعنى[٢]، ومن ذلك (٤٨- أعندكم نبأٌ من أهل أندلس، فقد سرى بحديث القوم ركبان) فالفاء ربطت بين الجملتين، والثانية منهما سببٌ للأولى. ومن ذلك عطفه (٥٤-فلو) على البيت قبله، والفاء هنا للترتيب والعقيب، ثم عطف عليه (٥٥- ولو) في ثلاثة أبيات متتالية.

---

(١) الأرقام في بداية الجمل المستشهد بها أرقام الأبيات في القصيدة.

(٢) ينظر بناء الجملة العربية، د. محمد حماسة، ص ١٩٤.

فحروف العطف العاطفة بين الجمل السابقة ربطت بين جملتين في بيتٍ واحدٍ أحيانًا، وبين جملتين أو أكثر في أبيات متتالية كما يتضح من أرقام الأبيات، وهذا يجعل الأبيات المترابطة الأفكار مترابطةً نحويًّا.

الربط بالشرط: "حرف الشرط يُعَلِّقُ إحدى الجملتين بالأخرى، ويجعل الأولى شرطًا في حدوث الثانية مترتبة على الأولى أو جوابًا لها"(١). فنحن أمام جملتين كلٌّ منهما متعلقةٌ مترابطةٌ بالأخرى عن طريق أداة الشرط، وقد ورد في قصيدة الرندي أمثلة لذلك، يقول: (١-إذا ما تمَّ فلا يغرُّ) فقد جاءت أداة الشرط (إذا) رابطة بين جملتي الشرط والجواب، والأخيرة جاءت بالفاء ضمن بيت واحد، وجاء الربط بـ (إن) الشرطية، في قوله: (٤١- إن كنت في سنة فالدهر يقظان)، وكذلك الربط بـ (لو) (٥٤- فلو تراهم حيارى لا دليل لهم) و(٥٥- ولو رأيت بكاهم عند بيعهم لهالك الأمر) وقد جمع بين شرطين وجواب واحد فـ (لهالك) جواب للشرطين معا.

وقوع جملة في نطاق أخرى: قد لا يكون هذا العنصر مما يشير إليه الكثيرون، لكنني أرى أنه من عناصر التماسك النحوية، فوقوع جملة ما موقع المفرد حالًا أو خبرًا أو مضافةً إليه أو مجرورة بحرف جرٍّ لا يخرجها من التماسك؛ لأنها أولًا جملة لها امتداد وتكوين الجملة، ثانيًا لأنها مرتبطة مع الجملة التي هي في نطاقها، ولذا أدرجتها في عناصر التماسك، وأرى أنَّ اختلاف اللغات وخصائصها يفرض علينا ألا نتوقف عند مفهوم التماسك عند هاليداي ورقية حسن فقط؛ لأنهما تحدثا عن التماسك في الإنجليزية، ولكل لغة خصائصها كما ذكرت.

(١) ينظر بناء الجملة العربية، د. محمد حماسة، ص ٢١١.

الجمل حالية: نحو: (١٤- سلوانٌ يسهلها) فالجملة الفعلية حال، و(٢٠- وهم في الحرب عقبان) حال جملة اسمية، و(٤٩- وهم قتلى)، وهو حال جملة اسمية، و(٣٨-ولها بالكفر عمران) حال من الضمير في أقفرت، وكذلك (٥٠- وأنتم يا عباد الله إخوان).

جملة في موضع الجر: من ذلك (٢- هي الأمور كما شاهدتها دولٌ) فـ كما شاهدتها جملة مجرورة بالكاف، كقولك: أنا بخير كما ترى، أي: كمشاهدتك إياها. ومثله: (١٠- كما حكى) و(٩- حتى قضوا) أي: إلى أن قضوا[١]، وقوله: (٣٩- حيث المساجد قد صارت كنائس) بإضافة حيث إلى الجملة الاسمية بعدها.

والخلاصة أن وقوع جملة في نطاق أخرى وإن شكَّلَ شكلًا من أشكال امتداد الجمل إلا أنه يتكون من الوحدة الأولى للنص وهي الجملة، مما يجعل الترابط بين الجملتين مشروعًا لدراسته بوصفه من وسائل تماسك النص.

الإحالة: وهي أحد الأدوات الشكلية للتماسك في النص، والإحالة "الإماءة باللفظ إلى لفظ سابق أو معناه أو مضمون قول ونَوْطُه به، فيتحوّل المعنى إليه، ويفسر اللفظ المرموز به في ضوء المشار إليه"[٢]. وهي نوعان:

الأول: إحالة نصية: الرجوع إلى متقدم بالإشارة أو الضمير إلى شيء في اللغة أو النص.

وهي نوعان: إحالة إلى سابق أو متقدم في اللفظ، وتسمى قبلية. وإحالة إلى اللاحق أي إلى مذكور بعد الضمير أو الإشارة في النص، وتسمى بعدية.

---

(١) بناء على أن حتى الجارة تدخل على الفعل الماضي ويكون (أن) المصرية محذوفة، وهو قول ابن مالك، ينظر الجنى الداني ص ٥٤٣. ويؤيده المعنى.

(٢) تحليل النص، د. محمود عكاشة ص ٢١٩، مكتبة الرُّشد ٢٠١٤م.

الثاني: إحالة خارجية، وتحيل إلى شيء في العالم الخارجي، خارج اللغة، وتفسر النص في ضوء علاقتهما بالأشياء والمواقف في العالم الخارجي(١).

إحالات قبلية: وردت إحالات قبلية عديدة منها الضمائر التي تعود على سابق لها:

المحِيل	المحال إليه	نوع الإحالة
(٣- لها شان)	الدار	ضمير غائب للمفردة المؤنثة
(١٥- لا عزاء له - هوَى له)	أمر	ضمير غائب للمفرد المذكر
و(١٦- أصابها)	الجزيرة	ضمير غائب للمفردة المؤنثة
(١٨- سما فيها)	عالم - قرطبة	ضمير محذوف للمفرد المذكر ضمير للمفردة المؤنثة
(١٩-نهرها)	حمص	ضمير للمفردة المؤنثة
(٢٠- بها)	غرناطة	ضمير للمفردة المؤنثة
(٢٠-وهم)	أسْدٍ	ضمير للجمع المذكر
(٢١-حمراؤها)	غرناطة	ضمير للمفردة المؤنثة
(٢١-زخرفها)	حمراؤها	ضمير للمفردة المؤنثة
(٢٢-بها)	غرناطة	ضمير للمفردة المؤنثة
(٢٣-جامعها)	غرناطة	ضمير للمفردة المؤنثة
(٢٣-به)	جامعها	ضمير للمفرد المذكر

(١) تحليل النص، د. محمود عكاشة ص ٢١٩-٢٢٠ بتصرف، وينظر لسانيات النص، محمد خطابي ص ١٦.

المحِيل	المحال إليه	نوع الإحالة
(٢٤-فيه)	عالم	ضمير للمفرد المذكر
(٢٥-منه)	عابد	ضمير للمفرد المذكر
(٢٦-تحنشه - له)	واد شنجيل	ضمير للمفرد المذكر
(٢٧-لها)	دار الزعفران	ضمير للمفردة المؤنثة
(٢٨-بها)	المرية	ضمير للمفردة المؤنثة
(٢٩-ساحلها) (٣٠-بداخلها) (٣١-بخارحها، حولها) (٣٢-جارتها، قبتها)	مالقة	ضمير للمفردة المؤنثة
(٣٤-يده، تبكيه، أرضه)	شجاع	ضمير للمفرد المذكر
(٣٥- توحيدها)	وادي آش	ضمير للمفردة المؤنثة
(٣٨- ولها بالكفر)	ديار	ضمير للمفردة المؤنثة
(٤٠- وهي جامدة، وهي عيدان)	المحاريب - المنابر	ضمير مؤنث للجمع غير العاقل
(٤١- وله، كنتَ)	غافلًا	ضمير للمفرد الغائب ضمير للمفرد المخاطب
(٤٢- يلهيه، موطنه)	ماشيًا	ضمير للمفرد الغائب
(٤٣- تقدمها، لها)	المصيبة	ضمير للمفردة المؤنثة
(٤٧- لهم بأوطانهم)	راتعين	ضمير للجمع المذكر
(٥٣- بالأمس كانوا، منازلهم، هم)	قوم	ضمائر جمع للغائب

المحِيل	المحال إليه	نوع الإحالة
(٥٤- تراهم، لهم، عليهم)	قوم	ضمائر جمع للغائب
(٥٥- بكاهم، بيعهم)	قوم	ضمائر جمع للغائب
(٥٦-كأنه)	أسير	ضمير للمفرد المذكر
(٥٧- بينهما)	أم وطفل	ضمير للمثنى
(٥٨-كأنما هي)	طفلة	ضمير للمفردة المؤنثة
(٥٩- يقودها)	طفلة	ضمير للمفردة المؤنثة
(٦١-بها)	أندلس	ضمير للمفردة المؤنثة

ونلاحظ أن عود الضمير على سابق له هو الأصل وهو من أكثر الإحالات استعمالًا في القصيدة.

إحالات بعدية: على أن الضمير قد يعود على لاحق له لا سابق، ويتجلى ذلك فيما أسماه النحاة ضمير الشأن أو القصة، وهو "ضمير يكون في صدر جملة بعده تفسر دلالته وتوضح المراد منه ومعناها معناه"(١).

المحيل	المحال إليه	نوع الإحالة
(٢-هي الأمور كما شاهدتها دولٌ)	الأمور	ضمير القصة، والجملة بعده تفسره
(٣-هذه الدار)	الدار	اسم إشارة
(٢٨-كذا المرية)	المرية	اسم إشارة
(٤٣- تلك المصيبة)	المصيبة	اسم إشارة
(٦٢-بهذا الخير)	الخير	اسم إشارة

(١) النحو الوافي، أ. عباس حسن ٢٥٢/١ ط دار المعارف، مصر.

الحذف: هو "((علاقة داخل النص، وفي معظم الأمثلة يوجد العنصر المفترض في النص السابق، وهذا يعني أن الحذف عادة علاقة قبلية)) والحذف كعلاقة اتساق لا يختلف عن الاستبدال إلا بكون الأول ((استبدالًا بالصفر))"[١]. والحذف "أحد المطالب الاستعمالية، فقد يعرض لبناء الجملة المنطوقة أن يحذف أحد العناصر المكونة لهذا البناء، وذلك لا يتمُّ إلا إذا كان الباقي في بناء الجملة بعد الحذف مغنيا في الدلالة كافيًا في أداء المعنى"[٢]. وقد وقع الحذف في العربية في أنواع الكلم الثلاثة وإن كان حذف الحرف قليل، ودرس النحاة والبلاغيون أغراض الحذف.

ومما وقع من الحذف في قصيدة الرندي:

المحذوف منه	المقدر	وظيفته
(إذا ما تمَّ)	هو	فاعل
(الدار لا تبقي)	هي	فاعل
(أمَّ كسرى)	هو	فاعل
(وما تحويه)	هي	فاعل
(قد أقفرتْ)	هي	فاعل
(قد صارت)	هي	فاعل
(تبكي، وترثي)	هي	فاعل
(أنستْ)	هي	فاعل
(طلعتْ)	هي	فاعل
(ولو كان ابنَ ذي)	هو	اسم كان

(١) لسانيات النص، محمد خطابي ص ٢١.

(٢) بناء الجملة العربية، محمد حماسة ص ٢٥٩.

(قواعدٌ كنَّ)	هي	مبتدأ
(كم تليت في كل وقت به)	آية	تمييز كم الخبرية
(إذا نَبَتْ مشرفيَّات)	يمزقها الدهر	جواب الشرط
(ولو كان ابن ذي يزن)	فإنه يفنى	جواب شرط

وقد يتبادر إلى الذهن كيف يؤدي الحذف إلى التماسك؟ والجواب أن الحذف يجعل القارئ يبحث عما يملأ به موضع الحذف ويربط الكلام بعضه ببعض، فإذا كان الحذف لا يكون إلا لدليل، فإن هذا الدليل المقالي أو الحالي يجعل الكلام كله مترابطًا متماسكًا.

فالمثال: مشيت عليها لكنَّ الحَفْرَ فيها صعب وقد لا نجدُ مياه. لا نحتاج فيه أن ندرك أن المراد هنا: الأرض، فهي التي تحفر ويستخرج منها الماء.

ومثال نحو: هل أحضرت الطعام؟ فتجيب: نعم. حذفت فيه جملة كاملة، ولا يمكن فهم كلمة (نعم) وما تؤديه في الخطاب دون ربط الكلام كله ببعض، من هنا يأتي دور الحذف، وكلما كان القارئ أكثر واعيًا بالأساليب واللغة كان استشعاره أهميةَ الحذف ومعناه وموقعه في النفوس أقوى.

*****

المبحث الثاني: التماسك النصي الدلالي والتداولي[١]:

مستوى المعجم:

التكرار: تكرار الكلمات "هو شكل من أشكال الاتساق المعجمي يتطلب إعادة عنصر معجمي أو ورود مرادف له أو شبه مرادف أو عنصرًا مطلقًا أو اسمًا عامًّا"[٢]. ومن التعريف يتَّضح أنَّ هناك أنواعًا من التكرار، ومما ورد في القصيدة:

تكرار اللفظ بلفظه، وقد وردت بعض الألفاظ مكرَّرة بنصها:

رقم البيت	اللفظ المكرر	عدد المرات
(٦-٧-٨-١٧-١٨-١٩-٢٠-٢١-٢٣-٢٧-٢٩-٣٢-)	اسم الاستفهام (أين)	١٧ مرة
(٩-٤٨)	القوم	مرتان
(١٤)	سلوان	مرتان
(١٦-٥٩)	العين	مرتان
(١٩-٤٢)	حمص	مرتان
(٢٧-٦١)	اسم الاستفهام (هل)	مرتان
(١٨-٢٠-٢٣-٢٨-٢٩-٣٠-٣٣-٣٤-٤٩-٥٦)	(كم) الخبرية	١٠ مرات
(١-٥-٩)	لفظ (كل)	٣ مرات

(١) ينظر في أدوات التماسك النصي علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، د. صبحي الفقي ١/١٢٠.

(٢) لسانيات النص، محمد خطابي ص ٢٤.

(١٦-٣٨-٥٠)	كلمة (الإسلام)	٣ مرات
(١٣-٤٧)	(موطنه، أوطان بأوطانهم)[١]	٣ مرات
(٣٨-٤٤-٥٢- ٥٣)	كلمة (كفر)	٤ مرات
(٣٤-٤٤-٤٨-)	كلمة (أهل)	٣ مرات
(٥٩-٦٠)	القلب	٣ مرات

وقد تتكرر الكلمات بمعناها، أي: تأتي كلمة أخرى لها نفس المعنى:

رقم البيت	الكلمات المكررة	نوع الكلمة
(٣)	(لا تبقي، لا يدوم)	فعلان
(٢-٤)	(أزمان، الدهر)	اسمان
(٦-٧-٨-٩)	(الملوك وشداد وساسان وقارون وعاد وقحطان) أشار إليهم الشاعر بلفظ (الكل)، ولفظ (القوم)	أسماء
(١٩)	(فياض وملآن)	اسمان
(٣٨)	(خالية، قد أقفرت)	اسم وفعل

التَّضَامّ: "ويُسَمَّى أيضًا المصاحبة المعجمية، ويعدُّ وسيلةً مهمّةً من وسائل الاتساق المعجمي للنص بالإضافة إلى التكرار، وهو ((توارد زوج من الكلمات بالفعل أو بالقوة نظرًا لارتباطهما بحكم هذه العلاقة أو تلك))، أو لنَقُل على نحوٍ أوضح أنه ((الارتباط الاعتيادي لكلمة ما في لغة بكلمات أخرى معينة))"[٢]. وقد عد العلماء الكلمات المتضادة مثل: ولد وبنت، والمتخالفة:

(١) يسمى أحيانا التكرار الجزئي، لأنه يتكر فيه اللفظ في شكل أو صيغة مختلفة. ينظر دراسات الجملة العربية ولسانيات النص، د. خالد العدواني، ص ١١٣.

(٢) دراسات الجملة العربية ولسانيات النص، خالد العدواني ص ١١٦.

أحب وأكره، والمتعاكسة: أمر وأطاع، والتي تشكل سلسلة متتالية: السبت، والأحد، والاثنين إلخ، والكل والجزء وعكسه وغير ذلك مما وقع فيه التضام.

ومن أمثلة التضام في نونية الرندي:

متضادان	متلازمان يستدعي كل منهما الآخر
(١-تمَّ ونقصان)	(٦- أكليل وتيجان)
(٢-سرَّه وساءته)	(٨- قارون وذهب)
(١٣-مسرات وأحزان)	(٣٧- تبكي وأسَف)
(٣٨- أقفرت وعُمران)	(٣٩- نواقيس وصلبان)
(٤١- سِنَة ويقظان)	(٤٠- المحاريب والمنابر)
(٥٢-الذِّلة وعزّهم)	(٥٧- أمّ وطفل)
(٥٣- مُلُوك وعبدان)	(٥٧- أرواح وأبدان)
	(٢٨- ياقوت ومرجان)
	(٥٩- العين، القلب)
	(٦٠- إسلام وإيمان)
	(٦٢- الحور والولدان)

الاستبدال: هو "عملية تتم داخل النص إنه تعويض عنصر في النص بعنصر آخر"[١]. والاستبدال كما ورد في قصيدة الرندي، جاء على شكلين:

وقوع كلمة موقع أخرى، ومنه: (٢- من سره زمن ساءته أزمان ٤- يمزق الدهر الدهر)، فذكر في البيت الثاني كلمة زمن أي: مدة من الوقت، وجمعها أزمان، ثم لما قال: (يمزق الدهر) فذكر الزمن والأزمان باللفظ

(١) لسانيات النص، محمد خطابي ص ١٩.

الأعم، وهو الدهر. ومنه: (٤٨- أعندكم نبأ من أهل أندلس، فقد مضى بحديث القوم ركبان) فقد أعاد ذكر (أهل أندلس) بلفظ (القوم)، وقوله: (١٤- وللحوادث سلوان يسهلها، وما لما حل بالإسلام سلوان) فما حل بالإسلام هو من الحوادث السابقة.

ومن استبدال الأفعال (٣- لا تبقي، ولا يدوم) فقد بدّل الفعل بآخر بنفس المعنى.

وهناك استبدال قولي، وهو حين يتم الإشارة إلى قول سابق، ومن ذلك قوله بعد أن ذكر مصائب المسلمين في بلنسية وقرطبة وغيرهما (٤٣- تلك المصيبة أنست ما تقدمها) فعبر بـ (تلك) بدلًا من إعادة كل ما سبق ذكره من فقد للبلاد في الأندلس.

ويساهم الاستبدال في اتساق النص لأنَّ العلاقة بين العنصرين المستبدِل والمستبدَل "هي علاقة قبلية بين عنصر سابق في النص وبين عنصر لاحق فيه، ومن ثم يمكن الحديث عن الاستمرارية، أي: وجود العنصر المستبدل بشكل ما في الجملة اللاحقة"[١].

التماسك الموضوعي:

التماسك الموضوعي والأفكار والمعاني المطروحة في النص مما يساعد على تماسك النص، والقصيدة كلها قيلت في موضوع واحد تقريبًا، ويرى الدكتور الداية أن القصيدة "تمضي في ثلاث اتجاهات:

١-الاعتبار بزوال الدول وموت الملوك والعظماء والتأسي بهم فلكلٍّ أجلٌ محتومٌ.

(١) لسانيات النص، محمد خطابي ص ٢٠.

٢-تصوير سقوط المدن الأندلسية في يد العدو، وما حلَّ بأهل الأندلس من مصائب ونكبات.

الدعوة إلى الجهاد، والاستنجاد بأهل برّ العُدوة، وفي القصيدة دعوة ظاهرة للاستنجاد بدولة بني مَرِين، وكان ابنُ الأحمر قد اقتنع -بعد الضغط القشتالي على الخصوص – بضرورة الالتجاء إلى الدولة المرينية الفتية"[١].

فالقصيدة في رثاء ما سقط من مدن الأندلس واستنجاد بالمسلمين للجهاد حفاظًا على ما تبقَّى، وقد ورد فيها بعض أبيات الحكمة، فللقصيدة خط موضوعي واحد من بدايتها إلى نهايتها يمكن القول إنه دعوة للجهاد مبررة بفَقْدِ ما فُقِدَ من أرض الأندلس والمآسي التي حدثت للمسلمين هناك.

ولا يتوقف التماسك في موضوع القصيدة فقط، بل في أفكارها الجزئية أيضًا، يقول د. الداية: "وتتوزع الأفكار الجزئية في القصيدة على النحو التالي:

١-٥ كل شيء إلى زوال، وحكم الدهر جارٍ على من في هذه الدنيا.

٦-١٢ الاعتبار بالملوك والدُّول السالفة في التاريخ.

١٢-١٤ نقلة من الكلام العام عن نكبات الدهر، وتمهيد للدخول في موضوع جزيرة الأندلس.

١٥-١٧ بداية الحديث عن النكبة.

١٨-٢٧ ذكر المدن الكبرى التي سقطت في يد العدو، وتحسُّر على ما أصابها.

٢٨-٣٥ الاستنجاد بملوك بني مَرِين وقبائل المغرب عامة والاستنصار بهم.

٣٦-٤٣ تصوير نكبة الأندلسيين ومأساتهم الدامية"[٢].

---

(١) أبو البقاء الرندي شاعر رثاء الأندلس ص ٩٠.

(٢) أبو البقاء الرندي شاعر الأندلس ص ٩٢. وهذا على أن القصيدة (٤٣) بيتا.

وهذا الخط يبدو اتصاله واسترساله واضحًا، وتماسكه في تسلسله مقنع، فالحكمة التي تشير إلى زوال الدنيا تتفرع اتصالًا بالمدن التي سقطت من ناحية وبطلب الجهاد من ناحية أخرى، ثم الحديث عن نكبة المسلمين في الأندلس واستنصارهم بأقرب من يليهم من ملوك المسلمين وأمرائهم كل ذلك يرتبط فكريًّا وموضوعيًّا ومعنويًّا.

السياق الداخلي: والسياق الداخلي في القصيدة مبني على أفكار ومعاني النص، وقد تجلَّى ذلك في عدة أساليب، وتعبيرات، فمن التعبيرات التي تؤيد موضوع القصيدة: الحكمة المتمثلة في الأبيات الأولى للقصيدة (١-١٤) فالأبيات هذه مليئة بالحكمة التي تخبر عن دولة الأيام وتغير الأزمان، إلى أن يأتيَ ذكر الأندلس في قوله: (١٥-دهى الجزيرة) ويعدد المدن الأندلسية التي سقطت في يد العدو، (بلنسية ومرسية وشاطبة وقرطبة وحمص)، وتتوالى تعبيرات الحزن نحو (تبكي الحنيفية) (المحاريب تبكي، والمنابر ترثي) (يذوب القلب من كمد) وغير ذلك.

وكذلك الأسئلة التي تفيد التحسر، نحو: (٢٠-فما عسى البقاء إذا لم تبق أركان) و(٣٢- أعندكم نبأ) و(٣٤-ماذا التقاطع) و(٢٦- أبعد حمص تغر المرء أوطان؟) و(٣٢- أعندكم نبأ من أهل أندلس؟).

والنداءات المتكررة استنجادًا، نحو: (يأيها الملك) و(يا غافلًا) و(يا راكبين وحاملين وراتعين)، والنداء للتفجع (يا من لذلة قوم). وأسلوب كم الخبرية (كم يستغيث). فتتعاضد الأساليب مع المعاني والأفكار في الكشف عن السياق الداخلي للقصيدة.

التماسك التداولي: للتداولية تعريفات متنوعة، ويمكن القول إنها "فرع لساني يعنى بدراسة التواصل بين المتكلم والمتلقي أو بمعنى آخر يُعْنَى بدراسة

الرموز التي يستخدمها المتكلم في عملية التواصل والعوامل المؤثرة في اختيار رموز معينة دون أخرى، والعلاقة بين الكلام وسياق حاله، وأثر العلاقة بين المتكلم والمخاطب على الكلام"(١).

وهناك نظرات أخرى متنوعة للتداولية:

-من جانب العملية التخاطب: فهي دراسات تهتم باللغة في الخطاب، وتنظر في خصائصه وطابعه الخطابي.

-من جانب الاستعمالية: وهو أشهر جوانبها الذي يلتقي مع المصطلح (الذرائعية) وهنا تهتم باستعمال اللغة، والتلاؤم بين التعبير والسياق، والمقام، والحدثية، والبشرية.

-جانب اجتماعي: وهو جانب استعمالي أيضا لكنه يهتم باللغة بصفتها ظاهرة تواصلية وخطابية واجتماعية(٢).

السياق الخارجي للقصيدة: لأن النص القصيدة التي معنا ليست عملية تخاطب بين مرسل ومستقبل، بل هي نص أدبي لا يشارك فيه المستقبِل بإجابة مباشرة يترتب عليها فعل مباشر أو سلوك، فالسياق الخارجي المحيط هو أهم عنصر تداولي فيها، والرندي "أنشدها بعد سلسلة التنازلات من قِبَل ابن الأحمر لألفونسو ملك قشتالة سمة (٦٦٥هـ) ويظهر أن التنازلات الإسلامية تحت الضغوط القاسية كانت فادحة، واختلفت الروايات في تقديرها، ولكنها زادت عن أربعين مسوَّرة من مدينة وحصن وما شابه، وهذا رقم مرتفع جدًّا"(٣). وقد كان ابن أحمر استعان ببني مرين سنة (٦٦٢هـ) فأعانوه

(١) الاتجاه التداولي والوسيط في الدرس اللغوي، د. نادية رمضان النجار ص ٩، ٢٠١٣م.

(٢) ينظر التداولية من أوستن إلى غوفمان، فيليب بلانشيه، ص ١٨، ترجمة صابر حباشة، دار الحوار ٢٠٠٧م.

(٣) أبو البقاء الرندي شاعر رثاء الأندلس، ص ٨٩، وينظر الذخيرة السنية ص ١٢٧.

وهزموا النصارى، فأعاد الرندي الاستنجاد بهم. والذي يعرف هذا السياق المحيط بالقصيدة يمكنه بعد قراءتها أن تتبدَّى له هذه الأحداث بمرارتها وأهوالها وحالتها النفسية ووقعها على المسلمين في كلمات وأبيات القصيدة، وهو عنصر هام في تماسك النص ووحدته.

ومن الجانب التداولي للقصيدة، ما يتعلق منها بنظرية (أفعال الكلام)، فهناك نوعان من الملفوظات: التقريرية الوصفية، وهي خاضعة لمعيار الصدق والكذب، والملفوظات الإنجازية[1]. فالرندي إن وصف ما حل ببعض مدن الأندلس من مصائب تبكي لها العيون دما، فإنه كان له غرض آخر أن يحث المسلمين وخاصة بني مرين لإدراك ما تبقى من الأندلس، ونصرة إخوانهم، فالقصيدة احتوت ما أسماه أوستن (أفعال الإنجاز).

ومن هذه الأفعال قول الشاعر: (يا أيها الملك البيضاء رايته، أدرك بسيفك أهل الكفر لا كانوا) فالفعل أدرك هو أمر فيه حث ورجاء على التحرك سريعا لنجدة المسلمين.

والسؤال: أعندكم نبأ من أهل أندلس؟ ليس سؤالًا محمولًا على ظاهره، بل هو سؤال استنكاري لكل من بلغه خبر الأندلس وفجيعتها كيف لم يتحرك لنجدتها.

وهذا الطلب والحث هو ذروة القصيدة ووقع في أبياتها الأخير المتأخرة لأن الشاعر وقد سجل هول الفاجعة كان يرغب في توجيه الحث لملوك بني مرين أن يتحركوا كما فعلوا سابقًا لعون إخوانهم في الأندلس.

---

(١) التداولية أصولها واتجاهاتها، ص ٨٧. وصنف أوستن الأفعال إلى ثلاثة أفعال شاملة لأفعال الكلام، هي: فعل القول: ويراد به التلفظ بقول ما. فعل الإنجاز: ويراد به القصد الذي يرمي به المتكلم من فعل القول، كالوعد والأمر والتحذير الخ. فعل التأثير: ويراد به التأثير الذي يحدثه فعل الإنجاز في المخاطب فيدفعه إلى التصرف ينظر ص ٩٠.

الخاتمة

قصيدة الرندي تسير في اتجاهين عامَّين، الأول وصف ما حلَّ ببعض أهم بلاد الأندلس والرثاء الحار لها، الثاني حث بني مرين وعموم المسلمين لإدراك ما تبقى من الأندلس.

التماسك النصي أهم ركائز النص، وهو بشقيه الشكلي والدلالي ما يمنح النص نصيته.

تجلت عناصر التماسك النصي في القصيدة في الوزن والقافية، فالقصيدة من بحر ثنائي التفعيلة (البسيط) والتفاعيل تمنح النص الشعري انسجامًا صوتيًّا في الإلقاء والقراءة، وناسبت قافية القصيدة التي احتوت على: روي: حرف النون، وردف وهو الألف قبل النون، ووصل: واو الإشباع الناتجة عن الضمة. ولم يقتصر التماسك الصوتي على ذلك، بل اشتمل على الجناس أيضا، سواء أكان تاما أم ناقصا.

المستوى النحوي للتماسك في القصيدة شمل العطف بين الجمل بالواو والفاء، بين جملتين أو ثلاث، في بيت واحد أو أكثر. وكذلك احتوى على الترابط بالشرط، فحرف الشرط يربط بين جملتين، قد يستغرقان بيتًا كاملًا، وكذلك وقوع جملة في نطاق جملة أخرى، كأن تكون حالًا أو مجرورة بحرف أو بإضافة.

كذلك وردت في القصيدة الإحالة قبلية وبعدية، وبالضمير وباسم الإشارة، وأكثر الإحالات قبلية وبالضمير.

وورد الحذف الاستبدال بالصفر عنصرًا من عناصر التماسك، حذف الفعل وهو قليل والاسم وهو أكثر، وغالبًا يكون حذف الفاعل. وكذلك حذف جواب الشرط لوجود دليل.

وتعددت عناصر التماسك الدلالي، فعلى صعيد المعجم ورد التكرار باللفظ أو التكرار بالمعنى، والتضام سواء بالمضاد، أو بالكلمات المتلازمة، وكذلك الاستبدال، وهو عودة عنصر في النص، ولكن عن طريق استبداله بعنصر آخر.

وجاء التماسك الموضوعي فالقصيدة كلها بكاء على ملك ضائع واستغاثة بملوك بني مرين. وكذلك الأفكار المتتالية في القصيدة، وقد ذكرتها في موضعها.

السياق الداخلي في القصيدة المتمثل في أفكارها وأساليب التعبير كالتحسر ونداءات الاستغاثة شكَّلا عنصرين هامَّين في تماسك القصيدة.

وأخيرًا جاء السياق الخارجي، وهو الظروف المحيطة بالنص وهي شارحة للعواطف والحالة النفسية للشاعر مكملة لما قد يكون خفيًّا في النص. وجاء العامل التداولي الذي تمثل في فعل الإنجاز (أدرك) وجملة الاستفهام التحضيضية التي تحث على نصرة أهل الأندلس، ويجب أن يتصرف المسلمون الذين تلقوا القصيدة على ضوئها.

***

المصادر

١- أبو البقاء الرّندي، شاعر رثاء الأندلس، د. محمد رضوان الداية، ط ثانية مكتبة سعد الدين، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.

٢- الاتجاه التداولي والوسيط في الدرس اللغوي، د. نادية رمضان النجار، ط أولى ١٤٣٤هـ / ٢٠١٣م.

٣- بلاغة الخطاب وعلم النص، د. صلاح فضل، ط عالم المعرفة، ١٩٩٢م.

٤- بناء الجملة العربية، د. محمد حماسة عبد اللطيف، ط دار غريب، القاهرة، ٢٠٠٣م.

٥- البناء العروضي للقصيدة العربية، د. محمد حماسة عبد اللطيف، ط أولى دار الشروق، القاهرة، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.

٦- تحليل النص، د. محمود عكاشة، ط أولى، مكتبة الرُّشد، ١٤٣٥هـ / ٢٠١٤م.

٧- التداولية أصولها واتجاهاتها، جواد ختام، ط كنوز المعرفة، عمَّان ١٤٣٧هـ / ٢٠١٦م.

٨- التداولية من أوستن إلى غوفمان، فيليب بلانشيه، ترجمة صابر حباشة، ط أولى، دار الحوار، سوريا، ٢٠٠٧م.

٩- التماسك النصي الاتساق شكليًّا والانسجام تداوليًّا، د. على الطاهر، ط أولى مؤسسة يسطرون للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠١٩م.

١٠- تيسير كافي التبريزي، د. حسني عبد الجليل يوسف، ط أولى دار الآفاق العربية، القاهرة ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م.

١١- الجنى الداني في حروف المعاني، المرادي، تحقيق: د. فخر الدين قباوة، أ. محمد نديم، ط أولى دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م.

١٢- دراسات الجملة العربية ولسانيات النص، د. خالد حسن العَدواني، ط صون جاغ أنقرة، ٢٠٢٠م.

١٣- ديوان أبي الطيب صالح بن شريف الرُّندي، المتوفى ٦٨٤هـ - ١٢٨٥م، تحقيق د. حياة قارة، ط أولى، دار الوفاء، الاسكندرية ٢٠١٠م.
١٤- الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية، نشره الشيخ محمد بن أبي شنب، ط جول كربونل، الجزائر، ١٢٢٩هـ / ١٩٢٠م.
١٥- علم البديع، د. عبد العزيز عتيق، ط دار النهضة العربية، بيروت، د ت.
١٦- علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق، د. صبحي إبراهيم الفقي، ط أولى دار قباء، القاهرة، ١٤٣١هـ / ٢٠٠٠م.
١٧- علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، د. سعيد حسن بحيري، مكتبة لبنان ناشرون، ١٩٩٧م.
١٨- لسان العرب، ابن منظور، ط دار صادر، بيروت.
١٩- لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي، ط أولى المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ١٩٩١م.
٢٠- المعجم المفصل في الأدب، د. محمد التونجي، ط ثانية دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م.
٢١- مفهوم التماسك وأهميته في الدراسات النصية، جمعان عبد الكريم، مجلة علامات، مج ١٦، ج ٦١، ٢٠٠٧م.
٢٢- موسوعة النظريات الأدبية، د. نبيل راغب، ط أولى الشركة العالمية للنشر، الجيزة، ٢٠٠٣.
٢٣- نحو آجرومية للنص الشعري، دراسة في قصيدة جاهلية، د. سعد مصلوح، مجلة فصول، مج ١٠، ع ١,٢، ١٩٩١م.
٢٤- النحو الوافي، أ. عباس حسن، ط الثالثة دار المعارف، د ت.
٢٥- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، المقَّري، تحقيق: د. إحسان عباس، ط دار صادر بيروت، ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م.

***

فهرس الموضوعات

م	الموضوع	الصفحة
١-	ملخص	١٩٦٤
٢-	Abstract	١٩٦٥
٣-	مقدمة	١٩٦٦
٤-	تمهيد: تعريف النص لغة واصطلاحا	١٩٧٣
٥-	تعريف التماسك النصي قديما وحديثا	١٩٧٦
٦-	هدف التماسك النصي	١٩٧٨
٧-	أنواع التماسك النصي	١٩٧٩
٨-	قصيدة أبي البقاء الرندي في رثاء ما ضاع من بلاد الأندلس	١٩٨١
٩-	المبحث الأول: التماسك النصي الشكلي	١٩٨٥
١٠-	التماسك الصوتي	١٩٨٦
١١-	المستوى النحوي	١٩٨٦
١٢-	الإحالة	١٩٩٠
١٣-	الحذف	١٩٩٣
١٤-	المبحث الثاني: التماسك النصي الدلالي والتداولي	١٩٩٥
١٥-	مستوى المعجم	١٩٩٥
١٦-	التماسك الموضوعي	١٩٩٨
١٧-	السياق الداخلي	٢٠٠٠
١٨-	التماسك التداولي	٢٠٠٠
١٩-	السياق الخارجي للقصيدة	٢٠٠١
٢٠-	الخاتمة	٢٠٠٣
٢١-	المصادر	٢٠٠٥
٢٢-	فهرس الموضوعات	٢٠٠٧

تم بحمد الله